إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الثانية عشرة، العدد السادس والأربعون ـ صيف ١٤٠١ش / حزيران ٢٠٢٢م
DOR: 20.1001.1.22516573.2022.12.46.3.7
صص ٧٦ ـ ٥٣

تمظهرات صورة الشخصيات الإيرانية في مِرآة البحترى الشعرية؛ آل سهل نموذجاً

فرشاد جبروتى*
أبوالفضل رضايى**
على أصغر قهرمانى مقبل(الكاتب المسؤول)***

الملخص

تشهد الكتب التاريخية أنّ "آل سهل" أسرة عريقة من الأسر الإيرانية التى لعبت دوراً بارزاً فى الحكم العباسى الأول بعد "آل برمک". فينتمى نسبهم إلى الملوک الساسانيين، ومكانة آل سهل فى الحكم العباسى مكانة مرموقة فى السياسة، إذ برزت سيادتهم ولباقتهم وحسن تدبيرهم فى حلّ البلاد الإسلامية وعقدها. فأشهر شخصيات هذه الأسرة هو الفضل بن سهل المشهور بذى الرئاستين وأخوه الحسن بن سهل، وإبراهيم بن الحسن حاجب المتوكل، فتعرّف البحترى على آل سهل واتجه إليهم بشعره وبعاطفته، إذ إنّه مدحهم حبّاً لهم إلى جانب التمتع بصلاتهم المادّية الغزيرة، فلا يكتفى البحترى بمدح هؤلاء فحسب، بل أدمج مدائحهم بأسماء الملوک الساسانيين، إذ انعكس شغف الشاعر العربى بالحضارة والثقافة الفارسيتين. رغب البحترى فى مدح هذه الأسرة الإيرانية وقام بتمجيدها وتكريمها واعترف بسيادتها وفضلهما رغم أصوله العربية ونزعته القومية. فيحاول هذا البحث الذى ينهج المنهج المقارن أن يستخرج تمظهرات صورة آل سهل المنعكسة فى قصائد البحترى. ويمكننا أن نستنتج أنّ الشاعر العربى قد صوّر الحضارة والثقافة الفارسيتين من خلال مدح آل سهل خير صورة يدلّ على معرفة الشاعر بها معرفة دقيقة مع إبراز حبّه لآل سهل والحضارة التى ينتمون إليها. وعَكَس هذا الشاعر "الأنا العربى"، الصفات الإنسانية الراقية فى "الآخر الإيرانى" أى الفُرس بكل وضوح.

الكلمات الدليلية: الشعر العباسى، البحترى، السلسلة الساسانية، آل سهل، الصورولوجيا.

*. طالب دكتوراه فى اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد بهشتى، طهران، إيران
**. أستاذ مشارک فى قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد بهشتى، طهران، إيران
***. أستاذ مشارک فى قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد بهشتى، طهران، إيران
a_ghahramani@sbu.ac.ir

تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/١٠/٢٥ق تاريخ القبول: ١٤٤٤/٠٢/٢٢ق

المقدمة

عندما نُمعن النظر فى شــعر البحترى الذى اهتمّ فيه بكبار الشــخصيات الإيرانيين الذين لعبوا دوراً هامّاً وإيجابياً فى إنشاء حضارة ضخمة إيرانية وصنعوا ثقافة إنسانية رشــيقة بجميع معالمها الفكرية والاجتماعية، منهم أبناء ســهل الإيرانيون الذين برزت أسماؤهم فى بعض قصائد البحترى الشعرية، بكل احترام وتمجيد. وإنّهم بذكائهم وشمّهم السياسى دخلوا فى الدولة العباسية، وأصبحوا وزراء الحكم العباسية بتدابيرهم العقلية وصاروا مستشارين أقوياء للخلفاء العباسيين. فالبحترى باستنباطه الواعى عرف مكانة آل سهل ودورهم السياسى فى الحكم العباسى، فلهذا صوّرهم بكل وضوح فى أشعاره وخلّــد أسماءهم فى ديوانــه للأجيال القادمة. وبإمعان النظر فى أشــعار البحترى التى أنشــدها فى حضارة الفرس وشخصياتهم، نعرف أنّ البحترى ذو نظرة دقيقة فى تصوير الثقافات المختلفة وباهتمامه إلى الشخصيات الكبار من الثقافات المتعددة، يعرّف نفسه أنّــه بدون تعصّب قومى، عقد صلة وثيقة بين الآداب القومية بصدق، فله قدرة بالغة فى ترســيخ الأواصر الثقافية بين الشــعوب والأقوام المختلفة. تحاول هذه الدراســة، على أن تدرس صورة آل ســهل، فى شــعر البحترى، وتعتمد على المنهج المقارن المبنى على المدرسة الفرنسية، مع الاستعانة بالدراسة الصورولوجية التى تُعتبر من اتّجاهات الأدب المقارن.

إنّ للصــورة مكانــة جديــدة فــى الأدب المقارن، وقــد تُدرَس فيها صــورة البلاد والشخصيات الأجنبية، فى آثار كاتب، أو مدرسة فى عصر من العصور التاريخية. ومن أهمّ أهداف علم الصورة، هى معالجة صورة شــخص ما أو بلد ما فى ثقافة أخرى، أو فى شعب آخر.

وأثناء دراسة آل سهل فى شعر البحترى نحاول الإجابة عن بعض الأسئلة؛ منها:

أسئلة البحث

- كيف كانت علاقة الشاعر العربى بآل سهل ؟
- ما هى خصائص آل ســهل الإيجابية المشــهورة التى أثّرت فى الشاعر وأقنعتْه

للتمدّح؟

- كيف عكست صورة آل سهل فی شعر البحتری؟

فرضيات البحث

بالنسبة إلى السؤال الأول يفترض أنّ علاقة الشاعر بآل سهل الإيرانيين الّذين لعبوا دوراً بارزاً ومهمّاً فی السياسة والأدب، ترتبط بمكانتهم المرموقة التی حصلوا عليها فی العصر العباسی لتدابيرهم الفكرية فی شؤون البلاد الإسلامية واهتمام الملوک العباسين بهم لوعيهم الواعی وأخلاقهم السامية. والفرضية الثانية هی أنّ آل سهل كانوا يتمتّعون من أخلاق حسنة وشجاعة وكرم، وهذه الأسرة كانت تنتمی إلى الأسرة الملكية قبل الإسلام أی الملوک الساسانيين، فلهذا تأثّرالبحتری بهم وبدأ بمدحهم لشأنهم السياسی وثقافتهم الفارسية.

وأمّا الفرضية الثالثة هی أنّ انعكاس صورة آل سهل فی شعر البحتری، إيجابی ولا يغفل الشاعر فی مدحهم ويهتمّ بِنَسَبِهم الفارسی وفی مدحهم يستدعی الشخصيات الساسانية العظيمة لملوكيتهم وقدرتهم فی إنشاء حضارة ضخمة آنذاک. إنّ البحتری يعترف بأنّ آل سهل فتيان فارِسَ من جميع الصفات الحسنة، لأنّ أصلهم كريم، وبكرامتهم أثنی عليهم وشكر منهم مواهبهم المشهورة التی لو سِرنَ فی فلک لكُنّ نجوماً.

خلفية البحث

كما واضح، قد تمّت دراسات عديدة فی إيران حول علم الصورة والصورولوجيا، نستطيع أن نشير إلى بعض الدراسات التی قامت بالصورولوجيا فی حقل نظری وتطبيقی، منها: «درآمدی بر تصوير شناسی، ۱۳۸۸ش» وقد تطرّق بهمن نامور مطلق فی مقاله هذا إلى الجانب التنظيری لصورولوجيا، وقد قسّم الآخر إلى "الآخر ضمن ثقافة الأنا" و"الآخر خارج ثقافة الأنا". وليس للآخر اعتبار خارج ثقافة الأنا، إمّا فرداً أو جمعاً فی جميع الأحوال كما يظنّ البعض. وهناک مقال آخر لخليل بروينی والآخرين بعنوان «دراسة رحلة ابن بطوطة من منظر الأدب المقارن، ۱۳۸۸ش» وقد

أشير فى هذا المقال إلى الصورولوجيا وتعريفه وتاريخه وأهمية دراسات الصورة ضمن الأدب المقارن بسبب تقريب الثقافات بعضها من بعض وتعاريف الشعوب والمجتمعات والمشتركات الموجودة بينها.

ومقال آخر بعنوان «صورة الآخر العربى / الفارسى فى الروايتين الفارسية والعربية: أحمد محمود وعبدالرحمن منيف نموذجاً، ١٣٩٠ش» ليدالله أحمدى ملايرى، وحاولت هذه الدراسة المقارنة إلى إلقاء الضوء على صورة الآخر العربى والفارسى فى روايات الروائى الإيرانى أحمد محمود والروائى العربى عبدالرحمن منيف، متخذة من إنجازات المدرستين أميركية والسلافية آلية لإبراز نقاط التشابه والاختلاف فى رسمهما لصورة الآخر.

وكذلک نشير إلى مقال آخر لعلى أصغر قهرمانى والآخر، بعنوان «تصوير شيراز در سفرنامه ابن بطوطه، ١٣٩٤ش» وقد تناول هذا المقال إلى تحليل صورة مدينة شيراز ضمن الأدب المقارن، حسب المدرسة الفرنسية التى تعالج الدراسات وفقاً على الاشتراكات بين الثقافتين المختلفتين، وقد أشير فى هذه الدراسة إلى كيفية علاقة ابن بطوطة بشيراز، ثقافة، اقتصاداً، سياسة، وغيرها.

إنّ هناک دراسة قيمة أخرى، تجدر الإشارة إليها فهى: كتاب إشكالية الأنا والآخر "نماذج روائية عربية" لماجدة حمّود وقد اختارت المؤلّفة فى هذا الكتاب ثمانى روايات من عدة بلدان عربية وحاولت أن تناقش رؤية "الأنا" العربية ولغتها وموضعها تجاه الآخر وكيفية إيجاد علاقة التفاهم والتعامل مع الآخر فى دراسة متأنية للروايات. وهناک كتاب آخر لنفس الكاتبة -ماجدة حمّود- بعنوان "صورة الآخر فى التراث العربى" بالّذى تتجذّر الكاتبة فى هذا الكتاب دراسة الصورة الأدبية (الصورولوجيا) وظهورها فى الأدب المقارن، وتناقش صورة الأنا والآخر ووسائلها وتجلياتها فى الأدب فى مقدّمة الكتاب. وتحاول الكاتبة فى هذه الدراسة، أن تصوّر جوّ التعايش فى الثقافة الإسلامية العربية وتُبرزَ مدى اهتمام الإنسان العربى بالآخر و"الأنا"، جرّاء اهتمامه بالآخر والاعتراف به. وبالرغم من وجود هذه الدراسات وأمثالها إلّا أنّ الباحث لم يعثر على مقال أو بحث يدرس صورة آل سهل فى مرآة شعر البحترى

بشـكل مستقل مؤكداً على أدبية الموضوع ولغته على جانب الاهتمام بالمضمون، يحاول هذا المقال دراسة صورة الآخر فی مجال أدبی وبآليات مختلفة وعلى هذا الأساس يبدو جديـداً وجديراً بالاهتمام.فاهتمّ الأدباء بنقل صـورة الآخر فی الأدب المقارن لأبناء شـعبهم، ووطنهم لتعريفهم بها عـن قرب، وقد بذل الأدباء جهودهم الجهيدة، لدراسـة معتـبرة عن الأدب المقارن، لمعالجة الاشـتراكات والاختلافات بين الشـعوب والبلاد، لتواصل العلاقات الثقافية والاجتماعية وغيرها.

كما نعرف أنّ الصورولوجيا تتكوّن من عناصر وعوامل كثيرة وهذه العناصر تساعد الأدباء للتعرّف على شـعوب وأقوام مختلفة وتأثير بعضها على بعض، باكتساب ثقافات خارجة عن المسـائل المادية على اختلافها. وهنـاک آراء مختلفة ونظريات متعددة فی تعريف الأدب المقارن.

يقول هنری ريماک حول الأدب المقارن «يشـمل الأدب المقارن عناصر من المكان والزمان والنوع والكثافة والأدب المقارن يتناول غالباً العلاقة بين بلدين أو مؤلفين من جنسـيتين مختلفتين، أو بين مؤلف واحد وبلد أجنبی والأدب المقارن يسـتطيع أن يقارن أی شـیء تمكن مقارنته بصرف النظر عن مدى قدم أو حداثة الموضوع اوالموضوعات المقارنة.» (علوش، ١٩٨٧م: ١٠٩)

و«إنّ الأدب المقارن الحقيقی يحاول، ككل علم تاريخی، أن يشـمل أكبر عدد ممكن من الوقائـع المختلفة الأصل، حتى يزداد فهمه وتعليله لكل واحدة منها على حدة فهو يوسع أسس المعرفة، كما يجد أسباب أكبر عدد ممكن من الوقائع.» (المصدر نفسه: ١٠)

بمـا أنّ البحث ينـدرج ضمن الأدب المقارن، فالصورة تُعـدّ من أهمّ عناصر الأدب المقارن، ومن الأفضل أن نشير إلى الصورة ومفهومها، ثمّ ندخل فی صلب الموضوع.

لمحة وجيزة عن الصورولوجيا

بما أنّ الصورة هی من أهمّ وسـائل نقل الثقافات والحضارات من الشعوب المتعددة إلى شـعوب أخرى، فجدير أن يشار إليها. كما يتضح لنا أنّ الصورة، هی أفضل وسيلة لنقل الثقافة والحضارة من شـعب إلى شـعب آخر بأمانة وصداقة وقوة. وإنّ موضوع

الصورة هو دراسة صورة "الآخر"، وبصورة أدق، صورة "الثقافة الأخرى" أو عناصرها فـي الأدب أو الفـن. وبمعنى آخر، الصـورة هى معرفة وطريقة يتم من خلالها دراسـة صورة البلاد والشـخصيات الأجنبية فى أعمال مؤلف أو فترة ومدرسة. (نامور مطلق، ١٣٨٨ش:١٢٢)، «فالصورة هى الوسـيلة المرغوبة عند الشاعر، والمفضلة عند الأديب، ولكـن غيرهما يكتفـى بدونها فى توصيل فكره التجريدى، ومعانيـه الذهنية ونقله إلى الآخريـن خبراً وإعلاماً، يكتفى فى ذلك بلفـظ جامد لا حياة فيه، وتعبير مركز دقيق لا إيحاء فيه.» (مصطفى صبح، ٢٠١٦م: ٣و٤)، إنّ الصورة هى الوسيلة التى يستخدمها الأديـب للتعبير عمّا يقصده. وعَنِـى النقاد المحدثون بمفهوم الصورة، فعرّفها زكى مبارك بأنّها: «أثر الشاعر المفلق الذى يصف المرئيات وصفاً يجعل قارئ شعره فما يدرى أيقرأ قصيدة مسـطورة، أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود، والذى يصف الوجدانيات وصفاً يخيـل للقارئ أنّه يناجى نفسـه، ويحاور ضميره، لأنّه يقرأ قطعة مختارة لشـاعر مُجيد.» (مبـارك، ٢٠١٢م: ٦٥) وعرّفها جابر عصفور: «بأنّهـا طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجـه من أوجُه الدلالة.» (عصفـور، ١٩٨٣م: ٣٢٣) و«يعدّ الصورولوجيا جزءاً من تاريـخ الأفكار والثقافات الّتى تنشـأ فى بلد واحد أو عـدة بلدان وعن طريق تناول الآخر بالدراسة نظفر بتفكير مختلف بإمكانه أن يغنى ثقافتنا ويطوّر سلوكنا، وعلى هذا يمكننا أن نعدّ الصورة تجسـيداً لفعل ثقافى يبرز لنا كيف يتمّ التفاعل مع الآخر، فنلمس مجمل الأفكار والقيم الّتى تشكل وجدان الأمّة.» (حمود، ٢٠١٠م: ١٤) وإذا أراد شعب أن يعرف نفسـه، فلابدّ له أن يعرف شـعوباً أخرى وثقافتها، ولأجل هذا الأمر يجب أن يترابط مع الشعوب المتعددة، لاسـتمرار الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهناك نقطة أساسـية فى دراسـة الصورولوجيا، وهى دراسـة ثقافة الآخرين والتعرّف على الأمم الأخرى، باتجاهاتها الفكرية والأخلاقية، لتقديم صورٍ من بلدٍما وكيفية نظرة قومٍ ما إلى قوم غيرهم، وإظهار المقارنة بين الذات والآخر.

وقد اتّسـعت مجالات البحث فى الصورولوجيا، لأنها تحتوى جميع حقول البحث فى العلوم الإنسانية وتدرس العلاقات القومية بين الأنا والآخر والاشتراكات والافتراقات بينهما.

«إنّ الصورولوجيا من أجل سعة مجالات البحث فيها تشمل كلّ العلوم الإنسانية والآداب القومية وما تحتويه هذه الآداب من معادلات معقّدة وشائكة فی إشكالية الصورة بين الأنا والآخر؛ لذا فإنّها كانت موضع اهتمام دراسات الأدب المقارن.» (صالح، ٢٠١٤م: ٤-٣) فإنّها تدرس العلاقات بين الذات والآخر والتشابهات والاختلافات بينهما.

وعلى من يبحث فی حقل المقارنة أن يتأنّی ويقف بإزاء الصورة التی يعطيها الأدب عن شعب، لأنّ الصورة تتكوّن من عناصر عقلية وعاطفية، تظهر فردياً أو جماعياً فی الأوقات المختلفة، ولأهمّيتها تلعب دوراً هامّاً فی تقديم شعب أو أمة إلى الأمم الأخرى. فنعالج الصورولوجيا، للتعرّف على دورها الأساسی فی تعارف الثقافات والحضارات والآداب المختلفة، التی تُقرِّب الاشتراكات الموجودة بين الشعوب الأخرى، فكراً، روحاً وعقلاً، وترسّخ العلاقات الثقافية لحفظ القِيَم الأخلاقية والإنسانية طوال القرون المتمادية. عندما نعالج الأنا والآخر، فالأفضل أن نأتی بتعاريف عن المصطلحی (الأنا والآخر)، «إنّ الأنا ليست وحدة، إلّا ظاهرياً. إنّها عُمْقياً، تمزّق وانشقاق. الآخر نفسه مقيم (سلباً أو إيجاباً) فی قرارة الأنا. لهذا لا فصل دون وصل: لا أنا دون الآخر.» (أدونيس، ٢٠١٦م: ٢٦/١)

امتزاج الأنا العربی والآخر الفارسی عند البحتری

وعندما يقال الأنا كأنّها تدلّ على الحرية ويتصور أنّها ذات طبيعة وجودية، وإنّ «الأنا بدائية، ولا يمكن أن تستمد من شیء أو ترد إلى شیء.» (برديائف، ١٩٦٠م: ١٠٩) نقصد بالأنا هنا جوهر الذات العربية، ونُحاول التطرق إلى السلبية والإيجابية فيها، فالعلاقة بين الأنا العربی والآخر أخذت منحیً مختلفاً يأخذ شكل الحوار بين الذات العربية وبين الآخر الفارسی الذی يملک التقدم فی الحضارة، فالحوار مع الذات يسبق الحوار مع الآخر ومعرفة النفس سابقة على معرفة الآخر والتساهل فی معرفة الذات يؤدی إلى تساهل فی معرفة الآخر. «ولفظ "الأنا" يعادل لفظ الذات، والذات تتجلى فی الثقافة والسياسة والأخلاق ويطلق لفظ الأنا فی مقابل الآخر.» (حنفی،

٢٠٠٤م: ٤٤٣)

عندما نريد أن ندرس صورة الآخر، فعلينا أن نتعرّف على الآخر ومفهومه فى الصورولوجيا وعن نكشفه ضمن النصوص الأدبية، وغيرها. وما يقابل الأنا هو الآخر الّذى لا يمكن معرفته بمعزل عن الذات، لأنّه مقابل للأنا فى المعنى، وكلّ منهما يتطوّران ويتكوّنان من خلال تشابك العلاقات داخل المجتمع. وليس الآخر «مفهوماً فردياً فقط، إنّه مفهوم جمعى أيضاً، فكما أنّ الفرد يشكّل تصوّراته عن الآخر بناء على تصوّره لذاته، فإنّ المجتمع كذلك يكوّن له تصوّراً عن الآخر بناء على تصوّره لذاته، أى أنّ هناك تلازم أيضاً بين (صورة الذات) و(صورة الآخر) على المستوى الجمعى كما هو على المستوى الفردى.» (الخبّاز، ٢٠٠٩م: ٢٣) و«للآخر والأنا معاً حضور دائم فى جميع مراحل الحياة ولا يشترط فى الآخر أن يكون الغير المختلف عنّا إثنياً أو عرقياً، بل يمكن أن تكون الذات هى منشطرة على نفسها آخر بالنسبة لنا، إذ يستطيع المرء أن يكتشفها ويتعرّف عليها شيئاً فشيئاً.» (المصدر نفسه: ٤٣)

قد مزج البحترى الأنا العربى بالآخر الفارسى فى أشعاره التى تجلّت فيها الشخصيات الإيرانية بأسمائهم ودورهم البنّاء فى إنشاء حضارة ضخمة، وبما أنّه بجميع أنسابه ينتمى إلى الشعب العربى، ولكنّه بملء عواطفه، اهتمّ بالفرس وآدابهم وثقافتهم وتاريخهم، وله إحساس روحى خاص بالميراث الفارسى والشعب الإيرانى، كأنّهم من أسرته أو عشيرته ووطنهم وطنه، ومن هؤلاء هم آل سهل، يحبّهم الشاعر ويرغب فيهم ويمدحهم مدحاً عاطفياً ويعلن بوضوح أنّه بدون أى تعصّب عربى بحت، يهتم بالثقافة وبالأخلاق الإنسانية الإيجابية من الشعوب والقبائل.

فالبحترى "الأنا العربى" يرى العناصر الثقافية والحضارية المترقية فى الآخر الفارسى، لهذا يرغب فيه وفى تراثه الشعرى ويبدأ بمدح مبدعى الحضارة الضخمة الفارسية وكبار شخصياتها الشهيرة وبمدحه للممدوحين الفرس، رسّخ أواصر العلاقات بين الشعبين العربى والفارسى.

كما سبق، يعالج البحث بتبلور صورة أبناء سهل الفرس فى شعر شاعر عربى، ويشرح حوافز الشاعر الرئيسية، ورغبته فى بيان محاسن هؤلاء الفضلاء الذين هم

عيون بنی ساسان وأوليون فی السؤدد ويبينُ أسباب مدحهم، وبنظرة عابرة نعرّف هؤلاء الممدوحين الذين قد أشار إليهم البحتری فی بعض قصائده المدحية والوصفية.

نبذة عن حياة آل سهل فی الكتب التاريخية

آل سـهل نسبة إلى سهل بن عبدالله وابنيه الفضل بن سهل وأخيه الحسن وعدد من أبناء الفضل والحسن.

سهْل

كان سـهل بن زاذانفـرّوخ من قرية من السـيب الأعلى، تُعـرف بصابرنيتا، وكان مجوسياً وأسلم فی أيام هارون الرشيد على يد سلام بن الفرج مولى يحيى بن خالد، ولم يزل سـلام يذبّ عنه وسـهل يخدمه ويلزمه حتى خالط أسباب البرامكة. (الجهشيارى، ١٩٨٨م: ١٤٧-١٤٨) وتوفّى سـهل والد ذی الرئاسـتين سنة ٢٠٣ه بعد قتل ابنه بِستّة أشهُرٍ وعاشت أمّه حتّى أدركت عرس بوران ابنة ابنها. (ابن الأثير، لاتا: ٩٢٤)

الفضل بن سهل

من الأفضل أن نشـير إلى الفضل بن سهل السرخسـی الوزير (ت٢٠٢ه) الذی هو أكبر ابنَی سهلٍ، وهو أخو الوزير الحسن بن سهل، «أسلم الفضلُ سنةَ تسعين ومئة على يد المأمون. وقيل: لمّا عزم جعفرٌ البرمكی على اسـتخدام الفضل للمأمونِ وصفه بحضرةِ الرشـيد، ونطق الفضلُ، فرآه الرَّشـيدُ فَطيناً بَليغاً. وكان يلقَّبُ "ذا الرِّئاستين" لأنّه تقلّد الوِزارة والحرب. وكان شـيعياً مُنَجّماً ماكراً، أشـار بتجهيز طاهر بن الحُسين، وحَسَبَ بالرّمـل بأنّه يظفَرُ بالأمـين. ويقال: إنّ من إصاباته الكاذبة أنّه حَكَمَ لنفسـه أنّه يعيش ثمانياً وأربعين سـنةً، ثمّ يقتَلُ بين ماءٍ ونارٍ، فعـاش كذلک، وقَتله خالُ المأمون فی حمّام سَـرخَس فی شـعبان سـنةَ اثنتين ومِئتين. وبعده بأيام مات أبوه. وأظهر المأمون حزناً لمصرعه، وعزّى لوالدته، وقـال: إنّ الله أخلفنی عليكِ بدلَ ابنكِ، فبكت، وقالت: كيف لا أحزن على ولدٍ أكسبنی ولداً مِثلَکَ، ثمّ عاشت وأدركت عُرسَ بنت ابنها بُوران على المأمون وكان الحسُـن بنُ سهل مِن كبار الوزراءِ الممدَّحين.» (الذهبی، ٢٠٠٤م: ٣٠٣٥؛

وكذلک انظر: المرزُبانـی: ٢٠٠٥م: ٢٢٤؛ والبغـدادی، ٢٠٠١م: ٢٩٨/١٤-٢٩٩؛ ابن تغـری بردی الأتابکی، ١٩٦٣م: ١٧٢؛ الزرکلـی، ٢٠٠٢م: ١٥١٦) وکان الفضل ذا ید طولی فی البلاغة.

الحسن بن سهل

الحسـن بن سـهل بن عبدالله السرخسـی (١٦٦-٢٣٦ه)، أبو محمـد وزیر المأمون العباسی، وأحد کبار القادة والولاة فی عصره، اشتهر بالذکاء المفرط، والأدب والفصاحة وحسن التوقیعات، والکرم، وهو والد بوران (زوجة المأمون) وکان المأمون یجلّه ویبالغ فی إکرامه، وللشـعراء فیه أمادیح، أصیب بمرض السـویداء فی سنة ٢٠٣ه فتغیر عقله حتی شُدّ فی الحدید وحُبس(ابن الأثیر، لا تا: ٩٢٦؛ وکذلک انظر: ابن بردی الأتابکی، ١٩٦٣م: ٢٨٧)، ثمّ شـفی منه قبل زواج المأمون بابنته سنة ٢١٠ه، وتوفی فی سرخس (من بلاد خراسان) سنة ٢٣٦ هـ قال الخطیب البغدادی هو أخو ذی الریاستین، الفضل بن سـهل کانا من أهل بیت الریاسـة فی المجوس وأسـلما، هما وأبوهما سهل فی أیام هارون الرشید. (البغدادی، ٢٠٠١م: ٢٨٤/٨)

وقد ذکر الذهبی عن جوده: «وکان فرداً فی الجودِ، أراد أن یکتب لسـّقاء مرّة ألف درهم، فسـبقته یده، فکتب ألف ألف درهم، فروجـع فی ذلک، فقال: والله لا أرجع عن شیء کتبته یدی، فصولح السقّاء علی جملة.» (الذهبی، ٢٠٠٤م: ١٤٠٨)

إبراهیم أبو الفضل بن الحسن، والحسین بن الحسن، والصالح بن الفضل

کما سَـبق، عالج البحتری بمدح آل سـهل لدَورهم البنّاء فی العصر العباسی سیاسةً وأدباً، وضِمن مدحِ کبار الممدوحین من آل سـهل، مدح أبناء هذه الأسرة الکریمة أیضاً، لِیریهم عاطفته الإنسانیة ورغبته فیهم، إذا مدح إبراهیم والحسین والصالح، یذکر الفضل والحسن، لأنّهما رُکنَانِ أساسیانِ لأسرة آل سهل أوّلاً ووزیرانِ مشهورانِ للحکم العباسی ثانیاً. وهذه علاقة الشـاعر الروحیة مشهودة فی قصائده المدحیة التی أنشدها فی مدح هؤلاء الثلاثة.

صورة آل سهل فی شعر البحتری

قُتِل الفضل بن سهل قبل ميلاد البحتری، ويبدو أنّ الشاعر مدح الحسنَ بن سهل فی أواخر حياة الحسن، عندما لم يكن وزيراً فی بلاط المعتصم ولكن كان ذا مكانة مرموقة وكان ابنـاه إبراهيـم (أبو الفضل) والحسـين صاحبی منصب فی بـلاط الخليفة ومدح الشاعرُ هاتين الشخصيتين وتناول الشاعر فی مدح أبيهما الحسن وعمّهما الفضل.

يبدو أنّ الشـاعر انحاز إلی الفرس وثقافتهـم وحضارتهم من خلال تعرّفه علی آل سـهل ونشأت نزعته الفارسـية إلی جانب تعصّبه إلی القومية العربية ولم يبتعد عن هذه النزعة بعد ابتعاده عن آل سـهل بسـبب الظروف السياسية بعد المعتصم والمتوكل بحيث مدح الفتح بن خاقان بسماته الفارسية، ولا نثق بجذوره الفارسية البحتة.

أما من جانب النسـب فنعرف أنّ هذه الأسـرة كانت تنتمی إلی الأسرة الملكية قبل الإسـلام أی الملوک الساسـانيين ولا يغفل الشـاعر فی مدحه أن يمدحهم فی نسـبهم واستدعی الشخصيات الساسـانية العظيمة فی أشعاره واستخدم أسماءهم مع الالتفات بالمعنی لها وذكر مشتقاتها تميناً بها. ولكن أقبل إلی مدحه بعقله وعاطفته، كما نری إقبال المتنبّی إلی سيف الدولة.

تجدر الإشـارة إلی مدح الفضل بن سـهل من جانب البحتری الذی لم ير الممدوح، ولكن يمدح ممدوحه بالكرم والشـجاعة والعلم والأدب والنسب وكان صادقاً فی مدحه لآل سـهل، لأنّ هذه الأسرة كانت تتصف بهذه الصفات فی الواقع وعلی رأسهم الفضل والحسـن، والفضل كان يتصف بذی الرئاستين (السياسة والحرب) إلی جانب شخصيته الأدبية كما كان الحسـن يتصف بالعلم والأدب إلی جانب السياسـة والشجاعة، وهذا السـبب الرئيس أنّ البحتری عندما يمدح إبراهيم أو الحسـين، يعود إلی الوراء ويتذكر بمكرومات آل سهل، يختص منهم الفضل والحسن.

إنّ البحتری يری آل سـهل مصدر الخير والنعمة له، وهو ابنهم وبوجودهم يسـهلُ الأمور الدنيوية للشاعر، وهم أحبّاء أهله، دونَ البحتُرِ، فالشاعر يحبّ أن يكون من أبناء آل سهل، بما أنّهم ذوو القدرة ولهم مكانة مرموقة فی الحكم العباسی، وبأخلاقهم وأدبهم ومحبتهم يجذبون قلوب الناس نحوهم ولهذا يودّ الشـاعر أن يكون ابناً لهم، كما مدحهم

بوضوح:

بِنعمَتِكم، يا آلَ سَـهلٍ، تَسَـهَّلت عَلَـى نَواحـى دَهـرى المُتَوَعَّرِ
شَكرتُكم، حَتَّى استكانَ عدوُّكم، وَمَـن يولَ ما أولَيتُمُونى يشـكرِ
أَلَسـتُ ابنَكم، دونَ البَنينَ، وأنتُمُ أحِبَّـاءُ أهلى، دونَ مَعـنٍ وَبُحتُرِ
أبا الفَضلُ! إن يصبح فَعالُكَ أزهراً، فمِن فَضلِ وَجهٍ، فى السَّماحةِ، أزهَرِ

(البحترى، ١٩٦٤م: ٢/٨٩٠-٨٩١)

كسروية الفضل بن سهل عند البحترى

كما أسـلفنا أنّ الفضل بن سـهل كان من كبار الرجال فى عهد العباسيين، وكان من الفصحـاء والبلغاء آنذاك، وقد تصدّى المقامين، رئاسـة الحرب وزعامة الأدب، ولُقّب بذى الرئاستين، وقد صرّح البحترى بهذه الصفة الممتازة:

يا أبَا الفَضلِ! والَّذى وَرِثَ الفَضـ ـلَ عَن "الفَضلِ" حادثاً وقَديماً
قَد لَعَمرى أعدَت شَمَائلُكَ الدَّهـ ـرَ فأضحَـى مِن بَعدِ لُؤمٍ كريمَا
لَكَ مِن "ذِى الرِّئاسَتَينِ" خِلالٌ مُعطَياتٌ فى المَجدِ حَظًّا جَسيمَا

(البحترى، ١٩٦٤م: ٤/٢٠٥٨)

وفى الحقيقة أنّ أبا الفضل (إبراهيم بن الحسـن بن سـهل) كان أبوه وزيراً للمأمون وقد تزوّج المأمون بوران ابنة الحسن، أما إبراهيم فتروى بعض المصادر أنّه كان حاجباً للمتوكل. وللبحترى فيه أكثر من عشـر قصائد. (ديوان، ١٩٦٤: ١/٥٧٦) كانَ ابن أخى الفضل بن سـهل، والشاعر مدحه مدحاً كثيراً، وكان الفضل بن سهل عمّ الممدوح أحقَّ على هذه الميزة الإنسانية وكان ذا حظٍّ جسيم فى الأدب والقلم والسّيف، وكان يحتذى حذو أجداده من الفرس فى معاملاته السياسـية، كما أشـار إليـه أحمد أمين: كان أكثر هؤلاء الكتاب فُرسـاً كالوزراء، يحتذون حذو أجدادهم من الفرس، حتى فى مظاهرهم الخارجية، يروى الجهشـيارى: أن الفضل بن سـهل بن زاذا نفروخ (ذا الرياستين) كان يجلس على كرسى مجنح، ويحمَل فيه إذا أراد الدخول على المأمون، فلايزال يحمَل حتى تقع عين المأمون عليه، فإذا وقعت وضع الكرسـى، ونزل عنه فمشـى، وحُمِل الكرسـى

حتى يوضع بين يدى المأمون، ثم يسـلِّم ذو الرياستين، ويعود فيقعد عليه. وإنما ذهب ذو الرياسـتين فى ذلک إلى مذهب الأكاسـرة، فإن وزيرًا من وزرائها كان يحْمل فى مثل ذلک الكرسـى، ويقعد بين أيديها عليه، ويتولى حمله اثنا عشر رجلًا من أولاد الملوک. (أمين، ٢٠١٢م: ١٦٥)

ويخاطب الشـاعر آل سـهل كأنّهم عيون بنى ساسانَ أو غُيوثُهم، فى الجود والنجدة والحُلوم، وهم كاللّيث فى البأس والشجاعة، وحيث يخصّ بذكر الفضل بن سهل قائلاً:

"آلَ سَهلٍ" أنتُم غُيوثُ "بَنى ساسا ... سانَ": جُودًا ونَجدَةً وحُلُومَا
أَى فَضـلٍ؟ وأَى بَذلٍ وَجُودٍ ... لم يحالِف ذَا الجُودِ "إبراهيمَا"
كسرَوِى تَلقَاهُ فى الحَربِ لَيثًا ... قَسوَرِيا، وفى النَّدِى حَكيمَا

(البحترى، ١٩٦٤م: ٤/٢٠٥٩-٢٠٥٨)

ويصوِّر الشـاعر من آل سـهلٍ تصويراً حياً، كأنّهم لوحـة الأدب والفضل وتتعالى المآثر بهم، وهم آمال الناس بوضوح وجههم وفعالهم، فالبحترى بعقل واعٍ، خاطب "آل سـهل" غيوث "بنى ساسـان" ومن ميزات الغيوث هى البذل والعطاء بجميع الكائنات بـدون أى منّة وقد كرّر لفظ "الجـود" مرّات عديدة، كأنّه يتلذّذ منـه ويتفأل به، وأيضاً استعمل الشاعر كلمتَى "فضل" و"بذل" فى معنى الجود، كأنّ الممدوح غيث جواد ويعطى بكل سـخاء، وأنّه فرع من أصل كريم، أى من الأسـرة الملكية التى تتصل بالساسانيين. واسـتخدام هذه الألفاظ ذات إيقاعات متناسـقة متلائمة للآذان يدُلّ على البشارة لمن يرجو أن يتنعّم، وكما أشـار الشـاعر إلى هذه الصفات الحسنة التى رأها فيهم، قد شبّه الشـاعر آل سـهل بغُيوثٍ كأنّهم نفس الغيوث، يجودون، يبذلون ويحلِمون، وإضافة إلى هذه السخاوة هم كأجدادهم كسرى شجعاء، كأنهم أُسُودٌ ذات شجاعة وقدرة وعزّة وفى مجلس قومهم حكماء. فطوبى لهم بهذه الصفات الإنسانية الممتازة.

وفى جانب آخر يعترف البحترى بأنّ آل سـهلٍ هم كسـرَويونَ أوَّليون فى السِّيادة، لأنّهم سبَقوا فى الفضل والمجد والشرافة ولهم تدابير حسنة عند المواجهة بالخطوب وهم أصحاب الحكمة فى الأمور السياسية:

يا أبا الفَضلِ قَد تَنَاهَى بُلُوغُ الـ ... ـفَضلِ مِن دُونِ فَضلِکَ الموصُوفِ

مَجدُ سَهلٍ والفَضلِ والحَسَنِ الإحـ ـسَانِ فی مَجدِکَ الرَّفیعِ الشَّریفِ
کسـرَویونَ أوَّلِیونَ فی السُّؤ ـدُدِ، بِیضُ الوُجُوه، شُمُّ الأُنُوفِ

(البحتری، ١٩٦٤م: ١٣٦٦/٣)

فعاطفة الشاعر مملوءة بالحب الصادق، وعندما يبدأ بوصف هؤلاء الكبار، يأتی بألفاظ ملائمة لتلک العاطفة، وقد تكرر لفظ الفضل أربع مرّات دون أن يختل شكل القصيدة، ودون أن يملّ القارئ من قراءة القصيدة، وذكر الشاعر مجدَهم بالترتيب من سهل وابنيه الفضل والحسن احتراماً لهم واعترف أنهم ذوو السيادة وهم طيبون ذوو الكبرياء، واستَخدمَ من الصور البلاغية يعنی صنعة الجناس فی كلمتی «الحسن والإحسان»، فنری السهولة والوضوح فی الأبيات وتجنّب الغريب من الألفاظ، والرقة والعذوبة فی الألفاظ.

فالألفاظ مختارة بعناية تناسب الموضوع، والكلمات متناسقة جزلة والمحسنات البديعية السجعية فی «سَهل وفَضل» تدلّ علی إيقاعات ملائمة تناسب للآذان والاستعانة بالمحسنات تدلّ علی روعة التعبير وجمال التصوير وعمق الأفكار والميل إلی التفاؤل.

وهناک قصيدة أخری للبحتری فی مدح صالح بن الفضل بن سهل (لم نهتد إلی شیء عنه. ولعلّه من أولاد الفضل بن سهل أخی الحسن بن سهل، مدحه البحتری حين كان يمدح هذه الأسرة الفارسية سَنَةَ ٢٣١ه (البحتری، ١٩٦٤م: ٢٣٤٤/٤ "الحاشية") من آل سهل ومن الأبناء الإيرانيين الذين لهم دورٌ بارزٌ وشاسٌع فی السياسة والثقافة، حيث يشير الشاعر إلی نسَبِهم الإيرانی :

يا "صالِحَ بنَ الفَضلِ" إنَک مُخبِری عن صالِحِ الخُلَطاءِ والإخوانِ
وَمُذَکری بکريمِ شِيمَتِک الَّذی قَد کنتُ أَعهَدُهُ من الفِتيانِ
وکذاکَ مَن "کسرَی أَبَرویزُ" لَهُ عَمٌّ إلَی "کسرَی أَنُوشَروانِ"
وأَبُوک "شَهرِبَرَازُ" "فارِسُ" "فارِسٍ" و"الرُّومِ" يخلِطُ ضَربَها بِطِعَانِ
بَينَ المُلُوکِ إلَی الأَسَاوِرَةِ انتَهَی شَرَفَانِ فی عَلياک يجتَمِعَانِ

(البحتری، ١٩٦٤م: ٢٣٤٤/٤-٢٣٤٥)

وكان صالح بن الفضل يقرض الشعر، كما أشار البحترى إليه:

وأراكَ أتقَنتَ القَريضَ؛وَبَعضُهُم يتَبَـدَّلُ التَّشـقيقَ بِالإتقـانِ
أحسَنتَ فى فِعلٍ وفَضلِ مَقالَةٍ فَحَظِيتَ بِالإفضَالِ والإحسَانِ

(المصدر نفسه)

يبدو أن آل سـهل كلّهم قد حظّوا من الأدب، ولهم يدٌ طولى فيه، فالبحترى يعترف بهذه الميزات الأدبية التى كان يتمتّع آل سهل منها. فالشاعر يصوّر من الإيرانيين صورة واضحة من الشـيم الإنسـانية الكريمة لمخاطبيه ويذكر كبار الملوك الفرس من برويز، أنوشَـروان وشـهربراز، كأنّهم كُنوز الخُلُق ولهم صالح الأعمال فى حياتهم الاجتماعية وأنّهم أفضلُ الخلطاء وأكرمُ الإخوان لحُسن أخلاقهم.

أنوشروانية الحسن بن سهل وشخصيته السياسية فى شعر البحترى

كما أسـلفنا إنّ الحسن بن سهل كان ذا مكان مرموق فى العصر العباسى والبحترى إضافة على مدحه فى القصائد التى ذَكَر آل سهل فيها ومدحهم ومجّدهم، ولكنّه اختصّ قصيدة لمدح الحسن بن سهل فى ٣٣بيتاً وادّعى أنّ ممدوحه مَلِكٌ ذو اختيارات سياسية يستطيع أن يقضى حوائج الناس.

وأوضح لمخاطبيه مقامه السياسـى والاجتماعى والأدبى فى العصر العباسـى، كما ذكر عنه:

وإذا ما استَهَلَّ بِـ"لحَسَنِ" الجُو دُ، فـإنَّ الكثـيرَ غيرُ كثيرِ
مَلِكٌ عنده على كلِّ حالٍ كـرَمٌ زائدٌ علـى التَّقديرِ
فَلَـهُ كلّمـا أتَتـهُ أمـورٌ مُشكلاتٌ دَلائِلٌ من أمورِ

وقد صرّح الشـاعر أنّ الحسـن بن سهل من كبار السياسـيين فى عصره، وبتدبيره الصـواب تتفـادى الخُطوب منه، وله رأى منصور ودلائل من الأمور، يسـتطيع أن يحلّ المشـاكل بسـعة صدره وبذكاوته الفريدة التى يتمتع منها فى حياته السياسية، وهو ذو حكمة بالغة فى بيانه، وأنّه ذو مجد وشـرف عالٍ وقد ورث هذه الصفات الإنسـانية من آبائه وأجـداده الفضلاء، الذين كانوا ملوكاً ذوى التيجـان، أهل النّهَى وأولى الألباب

وأهل الخير، وأصحاب الثقافة والحضارة الضخمة الإيرانية.

كسـرَوى، عليه منـهُ جَلالٌ يمـلأُ البَهوَ مِـن بَهَـاءٍ ونُورِ
يا "بنَ سَهلٍ" وأنتَ غَيرُ مُفيقٍ من بِناءِ العَلياءِ أُخرَى الدُّهُورِ
إنَّ لِلمهرَجـانِ حَقًّا على كلٍّ كبيرٍ – من "فارِسٍ" – وصَغيرِ
عِيدُ آبائک المُلوکِ ذَوى التِّيـ ـجانِ، أَهلِ النُّهَى، وأهلِ الخيرِ
مِن قُبـاذٍ ويزدَجِـردَ وفَيرُو زٍ وكسـرَى وقَبلَهُم أَردَشِيرِ

(البحترى، ١٩٦٤م: ٢/٨٨٥-٨٨٦)

يخاطب الشـاعر الحسـن بن سـهل، بأنّ آباءک قد بنوا المجد وخلّدوا أسماءهم فى سماء ثقافة الإيرانيين الذين هم ورثاء الخير والعزة وهم أكاسـرة الفضل قد لبسوا ثوب الشرف والجلال، ولهم تدابير خاصة فى حلّ الأمور وعقدها، وأنّهم أهل الجبروت وبنوا حضـارة ضخمة فى زمنهـم وبقيت آثارهم الثقافية والاجتماعيـة رمزاً للرقى والتقدّم. ويذكر الشاعر أسماء الملوک الإيرانيين بكل احترام ويمدحهم بكل فخر، لأنّهم أحقّ بهذه الميزات الإنسانية الكريمة.

وقد نجح الشاعر فى استخدام الألفاظ التى تظهر فيها العاطفة قوية صادقة والألفاظ مختارة، وهناک نوع من روعة التعبير، ونرى الجناس الناقص فى "البهو وبهاء" والتضاد بين "كبير وصغير" والتعابير واضحة قوية.

إنّ البحترى باطّلاعه الواسـع عـن ماضى الملوک (قباذ، يزجرد، فيروز، كسـرى، أردشير) قد استدعاهم فى شعره ووصفهم نماذج الشجاعة.

إنّ الشـاعر يذكر الشـخصيات التاريخية الإيرانية، فى أبياته الشعرية الكثيرة، وقد حاول أن يبلغ رسالته التى تتجلّى فيها ذكاوته ويظهر انصافه وعلمه بالوقائع التاريخية الفارسـية وبالحضارة الإيرانية وقد عبّر الشـاعر عن عواطفه وأحاسيسـه نحو عظمة الفرس وشخصياتهم وثقافتهم، واستطاع أن يخلّد ميراث الفرس للأجيال المستقبلة.

أردشيرية ابنَى الحسن بن سهل عند البحترى

كما أُشـير آنفاً، إنّ لآل سهلٍ مكانةً خاصةً ومرموقةً فى شعر البحترى، لأنّ الشاعر

يعتقد أنّهم ذَوو الفضل والأخلاق والأدب والتدبير وقد ورِثوا هذه الصفات الإنسانية العالية من أجدادهم القدماء الذين بَنوا حضارة ضخمة فی بلدهم وأصبحوا أسوة حسنة للآخرين، ولِلَباقَتهم وشجاعتهم دخلوا فی الحكم العباسی وتصدّوا الأعمال الصعبة والهامّة فی العصر العباسی، كأنّهم وُرثَاء العلياء عن أردشير، وقباد، وأنوشروان، وأذعن البحتری إذعاناً واضحاً إلى هذه المسألة المهمّة فی شعره، كما مدح الحسين بن الحسن بن سهل فی إحدى قصائده:

صاغَ منها الرّبيعُ شَكلاً لأخلا ... قِ حُسينٍ ذی الجودِ والإحسانِ
غَمَرتهُ جَلالَةُ المُلكِ، واستَو ... لَت عَليه شَمائلُ الفتيانِ
واصِلٌ مَجدَهُ بعِقدِ الثُّرَيا، ... وَيداهُ بالجُودِ مَوصُولَتانِ
يا أبا القَاسِمِ المُقَسِّمِ فی المج ... دِ لِيومِ النّدَى وَيومِ الطِعانِ
قَد وَرِثتَ العَلياءَ عَن أردَشيرٍ، ... وَقَباذٍ، وَعَن أنوشِروانِ

(البحتری، ١٩٦٤م: ٢١٩٨/٤-٢١٩٩)

ومَن أمعن النظر فی هذه الأبيات التی مدح الشاعر أبناء آل سهل، يعترف أنّ البحتری بكل ذكاوة وعلم عالج بثقافة الفرس وأصحاب هذه الثقافة، لأنّه يشعر صفات الإنسان الكمالية من العدل والجود والكبرياء فی آل سهل الفرس الذين ورثوا هذه الميزات المحمودة من كبار شعبهم ومن أعزّاء قومهم الذين أنشؤوا حضارة ضخمة وصنعوا ثقافة عالية للأجيال المختلفة طوال قرون متمادية. واهتمّ الشاعر بالصور البلاغية والصناعات اللفظية، إذ قال: "حسين وإحسان، والقاسم والمقسّم" فيهما جناس وأيضاً صنعة المبالغة فی "واصل مجده بعقد الثُريا".

فالشاعر يرى سمات إنسانية متمايزة فی آل سهل، ولحبّهم أنشد قصائدة عديدة فی مدحهم وخلّد أسمائهم فی ديوان شعره طوال الدهر، وعندما نتصفح ديوان شعره، نواجه بثقافة الفرس بجميع محاسنهم، لأنّ الشاعر عاش بين الأبناء الإيرانيين ولَمس هذا الميراث العظيم الذی انتبع من المجد والأخلاق والكرامة، فلهذا بدأ بمدح كبار الشخصيات الإيرانيين وتعريفهم على الآخرين من الأجناس المختلفة. حيث مدح إبراهيم بن الحسن بن سهل مدحاً رائعاً.

فَلَو إنّنى أُعطيــتُ فيهنَّ المُنَى لَسَــقَيتُهُنَّ بِكــفٍّ إبراهيمــا
بسَــحابَةٍ غَــرّاءَ مُتئِمَــةٍ، إذا كانَ الجَهامُ منَ السّحاب عَقيما
وَأَغَرُّ للفَضلِ بنِ سَــهلٍ عِندَهُ كــرَمٌ، إذا ما العــمُّ وَرّثَ لُومَا
وَابنُ الّذى ضَمّ الطّوائفَ بَعدَما افـ ترَقَت، فَعادَت جَوهراً مَنظوما
وَرَدَ العِراقَ، وَمُلكها أيدى سَبَا، فاســتَارَ سِــيرَةَ أردَشيرَ قَديما

(البحترى، ١٩٦٤م: ٣/١٩٦٦-١٩٦٥)

وبعدما يمدح البحترى إبراهيم بن الحســن فى الجود ويشــبهُهُ بسَحابة غَرّاء ويصفه بالنظم، يعترف كأنّه ناظم النظم، وقد تَورّث هذه الســيرة من أردشــير قديماً. ويقول إنّ إبراهيــم رجل مهــذَّبٌ وهو ذو أخلاق قد امتزجت بالمكرُماتِ امتــزاجَ الرّوح بالبدنِ، ولهذا زادت رغبة الشــاعر فى عِقد وُدّه، وهو بجوده وبذله يجذب القلوب نحوه، وشــغل الجميع بنواله.

إنّ الهُمُــومَ، إذا أوطَنّ فى خَلَدٍ لِلمَرءِ، سارَ وَلَم يربَع على وَطَنِ
إلَــى المُهَذَّبِ إبراهيــمَ أوصَلَنا آذى دِجلَةَ فى عيرٍ مِنَ السّــفُنِ
جِئنــاكَ نَحمِلُ ألفاظَــاً مُدَبَّجَةً، كأنّما وَشــيها مِــن يمنَــةِ اليمَنِ
كأنّها وَهى تَمشــى البَختَريةَ فى يدَى أبى الفَضلِ أوفى نائلِ الحَسَنِ
رَضيتُ منكَ بأخلاقٍ قدِ امتَزَجَت بالمَكرُماتِ امتِزاجَ الرّوحِ بالبَدَنِ

(البحترى، ١٩٦٤م: ٤/٢١٩٤)

وأيضاً يمدح البحترى إبراهيم بن الحســن بن ســهل ببلاغته ورقة ألفاظه، وفصاحة قوله، فتنزل الكلمات الرقيقة فى الأسماع درّاً ولؤلؤاً منظوماً:

قَــد تَعالَت بكَ المآثِــرُ، حَتّى قَد حَسِــبناكَ، للسّماكِ، نَديما
كلَّ يــومٍ آمالُنــا فيكَ لِــلأمـ ـرِ الرّئاســى يقتَضينَ النّجُوما
واضِحُ الوَجهِ وَالفَعالِ، إذا ما قادَ صَرفُ الزّمانِ خَطباً بَهيمَا
هِــبرِزى، قَد نالَ مــن كلّ فَنٍّ من جَميعِ الآدابِ، حظّاً عَظيما
وَرَقيقُ الألفاظِ يرصُفُ فى الأَسـ ـماعِ دُرّاً وَلُؤلُــؤاً مَنظومــا

(البحترى، ١٩٦٤م: ٤/٢٠٥٩)

وكلّما نُدقّق فی القصائد التی أنشــدها البحتری فی مدح آل ســهلٍ، وذكر محاسنهم ومكارمهم بكلّ احترام نعرف قد ادّعی الشــاعر أنّ آل ســهل قد ورثوا هذه الفضائل كلّها من أجدادهم الأفاضل كأردشــير، قباد، ساســان، أنوشروان وغيرهم من الملوك الفرس الذين بنوا حضارة ضخمة فی زمنهم وجعلوا لَبنة الثقافة العالمية المتقدّمة آنذاك، وسبقوا فی الأخلاق والمكرمة والأدب، وخلّدوا أسمائهم فی العالم الإنسانی.

إنّ البحتری يعترف بأنّ آل سهل فتيان فارِسَ من جميع الصفات الحسنة، لأنّ أصلهم كريم، وبكرامتهم أثنی عليهم وشكر منهم مواهبهم المشهورة التی لو سِرنَ فی فلک لكُنّ نجوماً.

أَفَتَی بَنی الحَسَنِ بنِ سَهلٍ إِنَّهُم ... فِتيانُ فــارِسَ نَجدَةً وَحُلوما
لا توجِبَن لِكَريمِ أَصلِكَ مِنَّةً ... لَو كُنتَ مِن عُكلٍ لَكُنتَ كَريما
فَلَكَ الفَضائِلُ مِن فُنونِ مَحاسِنٍ ... بيضاً لِإِفراطِ الخِلافِ وَشيما

(البحتری، ١٩٦٤م: ١٩٦٧/٣)

وبعد اطّلاعِنا عن أسماء الممدوحين من آل ســهل عنــد البحتری، أتينا بأسمائهم فی الجدول التالی:

أسامی آل سهل فی أشعار البحتری

		تاريخ الوفاة	المنصب	نوع المدح	نسبة الاستعمال
١.	سهل	٢٠٣	–	غير مباشر	٩ مرة
٢.	الفضل بن سهل	٢٠٢ه	وزير المأمون	غير مباشر	٤٥ مرة
٣.	الحسن بن سهل	٢٣٦ه	وزير المأمون	مباشر/ غير مباشر	٢٧ مرة
٤.	إبراهيم بن الحسن (أبو الفضل)	٢٣٥ هـ (؟)	حاجب المتوكل	مباشر	٤ مرة
٥.	الحسين بن الحسن	–	–	مباشر	٦ مرة
٦.	صالح بن الفضل	–	–	مباشر	١ مرة

المحسِّنات البديعية المبنية على الممدوحين من آل سهل

إنّ البحتری اســتعان بالمحســنات البديعية لإظهار مشــاعره وعواطفه؛ للتأثير فی

النفوس، وقد زين كلامه بهذه الوسائل الجمالية التى لها رونق فى الأدب وتحسين فى الكلام. وقد استخدم الشاعر من التعابير الواضحة والدقيقة تلائم المدح واستعان ببعض المحسنات البديعية، كجناس الاشتقاق بين "الحسن والإحسان" و"فضل والإفضال" و"أحسنتَ والإحسان" و"سهل وتسهّلت" و"القاسم والمقسّم" واستخدام هذه التعابير، يدلّ على قدرة الشاعر الأدبية، فالشاعر أخذ لفظاً من آخر لمناسبة بينهما فى المعنى، وعندما يمدح إبراهيم بن الحسن، يذكر "الإحسان وأحسنتَ" وأيضاً فى مدحه يأخذ لفظ "الإفضال"، من اسم عمّه "الفضل" أو يأتى بلفظ "تسهّلت" مأخوذ من اسم جدّه "سهل" وفى مدح أبى القاسم يأخذ لفظ "المقسّم" وقس على الكلمات الأخرى التى استخدمها الشاعر بكلّ ذكاوة، كأنّه لَعِبَ بالألفاظ بمهارة خاصة، وتُلاحَظ هذه المحسنات البديعية فى أشعار البحترى كثيرة، ولها مكانة مرموقة فى البديع كما تلى:

مَجدُسَهلٍ والفَضلِ والحَسَنِ الإحـ سَانِ فى مَجدِكَ الرَّفيعِ الشَّريفِ

قد مدح البحترى ممدوحه "إبراهيم بن الحسن" وذكر جدّه وعمّه وأباه على الترتيب الزمنى، وبذكر مجد الممدوح، يذكر مجد أقربائه من جدّه وعمّه وأبيه، ولايفرُق بينهم فى مجدهم وشرفهم.

أَحسَنتَ فى فِعلٍ وَفَضلِ مَقالَةٍ فَحَظيتَ بِالإفضالِ وَالإحسانِ

قد عبّر الشاعر بكلّ روعة فى تعابيره المدحية للممدوح، عندما يقول له: أنت عملك حَسَنٌ وقولك فيه الفضيلة، وإنك منتفع من خصلتين جميلتين وهما الإفضال والإحسان واستخدام هذين المصدرين يدُلّ على كمال صفة الحُسن والفضل فى الإنسان، واستخدام هذين المصدرين من باب الإفعال الذى يدُلّ على تعدّى الفعل للممدوح، يتّضح للقارئ أنّ الشاعر يتلذّذ من أقوال الممدوح وأعماله، ومن جانب آخرعندما يمدح الشاعر ممدوحه يذكر الفضل بن سهل عمّ الممدوح والحسن بن سهل أبا الممدوح، لأنّه صاغ من اسميهما كلمتى الإفضال والإحسان، وهما غاية الفضل والحُسن.

بِنعمَتِكم، يا آلَ سَهلٍ، تَسَهَّلت عَلَى نَواحى دَهرى المتَوَعَّرِ
يا أبا القَاسِمِ المقَسِّمِ فى المجـ ـدِ لِيومِ النّدَى وَيومِ الطِعانِ

والجناس التام بين "الفضل والفضل" الفضل اسم الممدوح والفضل الآخر هو من

إحدى الصفات الإنسانية وبين "صالح بن الفضل وصالح الخلطاء" فالشاعر بذكر ممدوحه صالح بن الفضل يذكر لفظ «صالح» من خصال الإنسان الحسنة.

يا أبَا الفَضلِ! والَّذی وَرِثَ الفَضـ ـلَ عَن "الفَضلِ" حادِثاً وقَدیما
يا "صالِحَ بنَ الفَضلِ" إنَک مُخبِری عن صالِحِ الخُلَطاءِ والإخوانِ

فأسلوب البحتری فی هذه الأبيات هو أسلوب مدحی واستخدم هذه المحسنات بدقة المعنی ووضوح الألفاظ.

النتيجة

عالجت هذه الدراسة صورة آل سهلٍ فی ديوان البحتری. فتوصّلت من خلال البحث إلی مجموعة من النتائج الّتی يمكن أن نلخّصها فيما يلی:

- اتّضحت من خلال دراسة صورة "آل سهل" فی ديوان البحتری، بأنّ الشاعر جاء بملفوظ آل سهل فی عدة مواضع، وكذلک ذكر أولاد سهل بأسمائهم ومدحهم بأحسن شكل فی العلم، الأدب، الشجاعة، الأخلاق، السياسة والجود والكرم، فالآخر الفارسی فی شعر البحتری يتمتّع صورة إيجابية والشاعر يذكر محاسن الشخصيات الإيرانية وأهمية الحضارة الفارسية.
- كما برزت تجلية الآخر الفارسی عند البحتری وإقباله علی ممدوحيه الإيرانيين، وقد مزج الشاعر الأنا العربی بالآخر الفارسی (آل سهل) بأسلوب أدبی خاصّ ومدح آل سهل الفرس وآباءهم وأجدادهم ودورَهم البنّاء فی إنشاء حضارة ضخمة.
- أقبل البحتری علی ممدوحيه السّتة من آل سهل وكان أهمّهم الفضل والحسن ابنَی سهل، ومدح الشاعر هذه الأسرة الإيرانية مدحاً عاطفياً بارزاً واعترف أنّهم ورثوا العَلياءَ، الشجاعة والجود من كبار الملوک الإيرانيين عَن أردَشير، وَقَباذ، وَعَن أنوشِروان.
- استخدم الشاعر فی أسلوبه المدحی المحسّنات البديعية المبنية علی ممدوحيه من آل سهل وحينما يمدح ممدوحاً، يزين كلامه باسم ممدوح آخر ويأخذ لفظاً من

مشتقات اسم الممدوح ويأتى بلفظ جديد مناسب لاسم ممدوحه، كأنّه يتلذذ من ذكر اسم الممدوح.

المصادر والمراجع

أدونيس. (٢٠١٦م). الثابت والمتحول (أربعة مجلدات). القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

أمون، جاک. (٢٠١٣م) الصورة. ترجمة: ريتا الخورى، ومراجعة جوزيف شـريم. ط١. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

أمين، أحمد. (٢٠١٢م). ضحى الإسلام، القاهرة: مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة.

البحترى، أبوعبادة الوليد. (١٩٦٤م). الديوان. تحقيق وشـرح: حسـن كامـل الصيرفى. القاهرة: دار المعارف.

ابـن الأثـير، ضياء الدين. (لاتا). الكامل فـى التاريخ. اعتنى به: أبو صهيـب الكرمى، بيت الأفكار الدولية.

ابن الأثير، ضياء الدين. (١٩٩٥م). المثل السائر. تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية.

ابن تغرى بردى الأتابكى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف. (١٩٦٣م). النجوم الزاهرة فى ملوک مصر والقاهرة. القاهرة: المؤسّسة المصرية العامة.

ابن رشـيق. (١٩٨١م). العمدة فى محاسـن الشـعر وآدابه ونقده. تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، بيروت.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب اسحق. (لاتا). الفهرست. تحقيق: رضا تجدّد.

التونجى، محمد. (١٩٩٥م). الآداب المقارنة. بيروت: دار الجيل.

پروينى، خليل. (١٣٩١ش). الأدب المقارن (دراسات نظرية وتطبيقية). تهران: سمت.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (١٩٩٨م). البيان والتبيين، تحقيق: عبد السـلام محمد هارون. ط٧. القاهرة: مكتبة الخانجى.

الجهشـيارى، أبوعبدالله محمد بن عبدوس. (١٩٨٨م). كتاب الوزراء والكتّاب، تقديم: حسـن الزّين. بيروت: دار الفكر الحديث.

حمّود، ماجدة. (٢٠١٠م). صورة الآخر فى التراث العربى. بيروت: الدار العربية للعلوم.

ـــــــــــ (٢٠١٣م). إشكالية الأنا والآخر: نماذج روائية عربية. الكويت: عالم المعرفة.

الحموى الرومى، ياقوت. (١٩٩٣م). معجم الأدباء. تحقيق: إحسان عباس. ط١. دار الغرب الإسلامى.

حنفى، حسن. (٢٠٠٤م). حصار الزمن الحاضر. ط١. لامک: مركز الكتاب للنشر.

الحوفى، أحمد محمد. (١٩٦٨م). تيارات ثقافية بين العرب والفرس. القاهرة: دار نهضة مصر.

الخبّاز، محمّد. (٢٠٠٩م). صورة الآخر فی شعر المتنبّی (نقد ثقافی). ط١. بيروت: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر.
درويش، أحمد. (٢٠٠٦م). الأدب المقارن: دراسات نظرية وتطبيقية. دار النصر.
الذهبی، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (٢٠٠٤م). سِيَر أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية.
روشنفكر، كبری، نظری منظم، هادی، إسلامی، نوح. (١٣٩٥ش). «تقابل الحضارات بين الأنا والآخر فی رواية "واحة الغروب" لبهاء طاهر». مجلة إضاءات نقدية، العدد ٢٣. صص ٢٩-٤٩.
الزركلی، خير الدين. (٢٠٠٢م). الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ط١٥. بيروت: دار العلم للملايين.
باسنيت، سوزان. (١٩٩٩م). الأدب المقارن: مقدمة نقدية. ترجمة: أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة.
شكری، مسعود وآخرون. (٢٠١٧م). «صورة الآخر الإسرائيلی فی رواية "المتشائل" لإميل حبيبی». مجلة إضاءات نقدية، العدد ٢٦. صص ٨٥-١٠٩.
الشكعة، مصطفی. (١٩٨٦م). الشعر والشعراء فی العصر العباسی. ط٦. بيروت: دار العلم للملايين.
صالح، بُشری موسی. (١٩٩٤م). الصورة الشعرية فی النقد العربی الحديث. ط١. بيروت: المركز الثقافی العربی.
صبح، علی علی مصطفی. (٢٠١٦م). الصورة الأدبية: تاريخ ونقد. بيروت: دار إحياء الكتب العربية.
صليبا، جميل. (١٩٨٢م). المعجم الفلسفی لألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية. بيروت: دار الكتاب اللبنانی.
الصولی، أبوبكر محمد بن يحيی. (١٩٥٨). أخبار البحتری. تحقيق: صالح الأشتر، ط١ دمشق: المجمع العلمی العربی.
ضيف، شوقی. (١٤٣٤ق). العصر العباسی الثانی. قم: ذوی القربی.
عبد الدايم، صابر. (٢٠٠٣م). الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة. ط٢.
غويار، ماريوس فرانسوا. (١٩٨٨م). الأدب المقارن. ترجمة: هنری زغيب. ط٢، بيروت: منشورات عويدات.
فروخ، عمر. (١٩٨١). تاريخ الأدب العربی: الأعصر العباسية. ط٤. بيروت: دار العلم للملايين.
فرويد، سيجمند. (١٩٨٢م). الأنا والهو. ترجمة: محمد عثمان نجاتی. ط٤. بيروت: دار الشروق.
قهرمانی مقبل، علی أصغر، كاظمی، نجيبه. (١٣٩٤ش). «تصوير شيراز در سفرنامه ابن بطوطه». مجموعه مقالات همايش ملی جايگاه فارس در عرصه زبان و ادبيات عربی. ج٢. صص٣٩-٥٤.
الكتبی، محمد بن شاكر. (١٩٧٤م). فوات الوفيات. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

كفافی، محمد عبدالسلام. (١٩٧٢م). فی الأدب المقارن (دراسات فی نظرية الأدب والشعر القصصی). بيروت: دار النهضة العربية.
مبارک، محمد زکی عبدالسلام. (٢٠١٢م). الموازنة بين الشعراء. مؤسسة هنداوی للتعليم والثقافة.
المرزُبانی، أبو عُبيد الله محمد بن عمران بن موسی. (٢٠٠٥م). معجم الشعراء. تحقيق: فاروق اسليم. ط١. بيروت: دار صادر.
المقدسی، أنيس. (١٩٨١م). أمراء الشعر العربی فی العصر العباسی. ط١٤. بيروت: دار العلم للملايين.
الموافی، محمد عبدالعزيز. (١٩٩٠م). حرکة التجديد فی الشعر العباسی. القاهرة: مطبعة التقدم.
ميرزايی، فرامرز، وآخرون. (١٤٣١ق). «استدعاء الشخصيات الساسانية فی شعر البحتری». مجلة دراسات فی العلوم الإنسانية، العدد٤. الصفحات٥٧-٧٣.
ندا، طه. (١٩٩١م). الأدب المقارن. ط٢. بيروت: دار النهضة العربية.
نامور مطلق، بهمن. (١٣٨٨ش). «درآمدی بر تصويرشناسی معرفی يک روش نقد ادبی و هنری در ادبيات تطبيقی». فصلنامه مطالعات ادبيات تطبيقی. ش١٢. صص١١٩-١٣٨.
نيقولای، برديائف. (١٩٦٠م). العزلة والمجتمع. ترجمة: فؤاد کامل عبد العزيز. القاهرة: مکتبة النهضة.
هلال، محمد غنيمی. (١٩٦٢). الأدب المقارن. ط٤. القاهرة: مکتبة الأنجلو المصرية.